المسألة البيئية في منظور الفكر الإسلامي المعاصر

محاولة في رسم معالم المشكلة وعلاجها عند عبد المجيد النجار

The Environmental Issue in the Contemporary Islamic Thought : An attempt to delineate the issue and its treatment by Abdelmajid Elnjar.

هجيرة شبلي[1]

2- جامعة محمد لمين دباغين سطيف

hadjira_philo@yahoo.fr

تاريخ الوصول: 2019/02/18/ القبول: 2019/05/29/ النشر على الخط: 2019/06/15

Recieved: 18/02/2019/ **Accepted**29/05/2019 **Published online**:15/06/2019

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز الحل العلاجي والوقائي للمشكلة البيئية الراهنة، الذي بلوره المفكر الإسلامي المعاصر عبد المجيد النجار انطلاقاً من قيم الثقافة الإسلامية، وفيه تتّجه فلسفة التربية البيئية إلى الكشف عن العامل الفاعل في اختلال وضع التوازن البيئي وتداعياته على الحياة، مؤكداً أن المشكلة البيئية في جوهرها أزمة ثقافية. ومن ثمة طرح النجار تعاليم الثقافة الإسلامية في التعاطي مع البيئة، تأسيساً على الفكرة العقدية الناظمة لحقيقة الوجود وغاية الحياة، الأمر الذي يقتضي تثمين القيم العلائقية بين الإنسان والبيئة الكونية نظرياً، وتوطين قيم الارتفاق والانتفاع البيئي عملياً.

الكلمات المفتاحية: مشكلة البيئة، التصور الثقافي، البعد الروحي، ارتفاق البيئة، الانتفاع.

Abstract:

This article aims to highlight the therapeutic and preventive solution to the current environmental problem, which was developed by the contemporary Islamic thinker Abdelmajid Najar starting from the values of Islamic culture, in which the philosophy of environmental education head to reveal the active factor in the imbalance of environmental balance and its implications on life, Stressing that the environmental problem in essence is a cultural crisis. In this context, from there El Najar introduced the instruction of Islamic culture in dealing with the environment, based on the doctrinal idea of governing the reality of existence and the life purpose, which necessitates valuing the relational values theoretically between man and the cosmic environment, and settling the values of easement and practical environmental utilization.

Keywords: environmental problem, cultural perception, spiritual dimension, environment easement, utilization.

[1] - المؤلف المرسل: هجيرة شبلي، الإيميل: hadjira_philo@yahoo.fr

مقدمة:

تعاني البيئة في العصر الراهن من مشكلات خطيرة، جراء الاستنزاف والاستغلال غير العقلاني لمواردها من طرف الإنسان، ولئن كان هذا الأخير هو عنصر من عناصر البيئة، بوصفه كائناً حياً، فإنه في الوقت ذاته يُعدُّ الطرف الفاعل في بروز وتفاقم المشكلة البيئية. فممّا لا شك فيه أن التقدّم العلمي والتقني الذي أحرزه الإنسان –على الرغم من ايجابياته– فقد خلَّف مشكلات بيئية خطيرة متنوعة ومتعددة المظاهر من مثل: اتساع ثقب الأوزون، والاحتباس الحراري، والتغيّر المناخي، والتلوث، وغيرها من الظواهر التي تُسهم في اختلال النظام البيئي، والتي باتت بالفعل تشكّل في مجموعها تهديداً خطيراً محدق بجميع الكائنات الحية منها وغير الحية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مشكلة البيئة قد حظيت باهتمام وافرٍ، وعُقدت حولها العديد من المؤتمرات والندوات المحلية والعالمية وتصدرت قضاياها رأس قائمة أعمال العديد من الهيئات والمؤسسات والمنظمات، مع ذلك ما تزال المشكلة البيئية قائمة، والمرجح أن الإخفاق في حلّ أزمة البيئة يكمن في طبيعة المعالجة التي نحتها مختلف الهيئات، وما تقدمت به من دراسات، وما سطّرته من ممارسات، والتي كانت مقتصرة في الغالب على علاج الجوانب المادية للبيئة –كما سيتمّ بيانه لاحقاً– مُغفلة البعد الروحي الذي تنطوي عليه. الأمر الذي يدعو إلى بسط المشكلة للتداول فيها، لكن من منظور فلسفي أو ديني (روحي). وعليه تناقش هذه الورقة البحثية الخلل الكامن وراء حدود الدراسات المنجزة في الاستجابة للتحدّيات التي تطرحها المشكلة البيئية، ضمن هذا السياق أَوْلى المفكر الإسلامي المعاصر عبد المجيد النجار عنايته لإبراز تفرد الطرح الإسلامي لحقيقة البيئة كخطوة فاعلة في بلورة رؤية شمولية لعلاج الأزمة التي تتخبط فيها البيئة، من خلال استحضار واستثمار البعد الثقافي للبيئة كما يتمثّل في التصوّر الإسلامي.

يتنزل الاشتغال بمشكلة البيئة في عالم اليوم ضمن المعضلات العالمية الكبرى المطروحة للنقاش، ومن هنا تتأتى أهمية إيجاد الحلول الحضارية الملائمة التي تنسجم فيها المقتضيات المادية مع الآفاق الروحية لحقيقة البيئة، إذ تتوقف استمرارية الحياة على مدى الحفاظ على توازن مختلف عناصر المحيط البيئي، وترشيد استغلالها. المشكلة البيئية بوصفها مشكلة عالمية فإن مسؤوليتها تقع على جميع سكان المعمورة، إذ تُطالعنا وسائل الإعلام عن إحصائيات ضخمة عن الجرائم المرتكبة في حق الوسط البيئي، واتساع نطاق العدوان عليه، وهي حصيلة خطيرة تعود تداعياتها على الكل، وهو ما يعزز أهمية البيئة ومدى ضرورتها، إذ تفرض وجودها كوضع راهني يهمّ الجميع فقد أضحى مطلب توعية الأجيال وتربيتها على أخلاقيات تحترم فيها البيئة في مبادئها وغاياتها خياراً بين البقاء أو الفناء.

وعليه تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف عند أسباب المشكلة البيئية التي يعاني منها الإنسان المعاصر، والتنبيه إلى قصور وعجز الرؤية المادية في علاج أزمات البيئة، بالكشف عن مواطن اختلال العلاقة بين الإنسان والبيئة، الأمر الذي يقتضي مراجعة طبيعة التصور الذي يُوجّه الإنسان في تفاعله مع البيئة الكونية. ومن ثمة السعي نحو استحضار البعد المغيّب الذي تتقوّم به قضية البيئة من حيث المنطلق والمصير، ألا وهو البعد الثقافي لتكوين الوعي بحقيقة البيئة، وتمثّل البعد العقدي للبيئة كما يتنزل في التصور الإسلامي، والتبصير بالمعايير الأخلاقية الضابطة للسلوك الإنساني في تعامله مع البيئة، وترشيد التعامل الوسطي مع البيئة فلا إفراط ولا تفريط.

وقد اقتضت المعالجة المنهجية للموضوع الاستناد إلى المنهجين التحليلي والوصفي، لرصد المنطلقات القيمية التي تؤسّس للمسألة البيئة في التصوّر الإسلامي، واستشراف الأخلاقيات التي ينبغي أن يكون عليها السلوك البيئي السليم. فقد أدّى الانتهاك المستمر لحرمة البيئة وما نتج عنه من اختلال في توازنها، إلى إدراج المشكلات البيئية ضمن لائحة الأزمات المحورية التي تشغل اهتمام الإنسان، ولئن لم تنجع الحلول المعرفية في معالجة وحسم مشكلة البيئة بشكل جذري، فإن المقام يدفعنا للنظر في التأصيل الوجودي والمعيار القيمي الذي يحكم علاقة الإنسان بالبيئة.

وعليه فالاشكال المطروح: ما هي مقومات التصوّر الإسلامي لقضية البيئة، وكيف تُسهم تعاليم الثقافة الإسلامية في علاج المشكلة البيئية عند النجار؟ وستتم معالجة هذه الإشكالية بالإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية: ما هي محددات ومؤشرات المشكلة البيئية عند النجار؟ وفيم تتمثّل المبادئ الوجودية والقيمية للمسألة البيئية في التصور الإسلامي حسب النجار؟ ما هي آفاق النجار في ترشيد علاقة الإنسان في التعاطي مع البيئة لتحقيق الوسطية فانتفاع بمسخراتها (دون إفراط)، وحفاظ على مواردها (دون تفريط)؟ وعليه ستعالج الدراسة من خلال ثلاث محاور أساسية، نوردها على النحو الآتي:

أولا: سياق المشكلة البيئية عند النجار: مفهومها وأسبابها

1- في ماهية البيئة والمشكلة البيئية

1- أ- ماهية البيئة لغة واصطلاحا:

يرجع الأصل اللغوي لكلمة بيئة في اللغة العربية إلى الجذر "بوأ"، من الفعل الماضي "باء"، تبوَّأ: نزل وأقام، وبوَّأتك بيْتاً: اتخذت لك بيتاً، أباءه منزلاً وبوَّأهُ إياه وبوَّأهُ له: بمعنى هيأه له وأنزله ومكَّن له فيه، والبيئة والباءة والمباءة: هي المنزل الذي ينزل به الإنسان، لكن المنزل المقصود بالبيئة أوسع من المعنى الضيق الذي يطلق على المنزل بمعنى السكن.[2] أما الاصطلاح الأجنبي (Environment) فيشير اللفظ في اللغة الإنجليزية حسب قاموس أكسفورد إلى العالم الطبيعي والاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان.[3] أما في اللغة الفرنسية فيعتبر لفظ البيئة من الألفاظ الجديدة في اللغة الفرنسية، حيث أدخله معجم

[2] ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم. **لسان العرب**، المجلد: 1 (أ-ب)، بيروت-لبنان: دار صادر، ص39.

[3] Oxford , Advanced Learner's Dictionary ,university press , 8th edition ,p491.

لاروس Larousse ضمن مفرداته عام 1972 ليعبر عن مجموعة من العناصر الطبيعية والصناعية التي تلزم لحياة الانسان.[4] يشير معنى البيئة في اللغات الأجنبية إلى جملة الظروف المحيطة بالإنسان التي يتفاعل معها في إطار نشاطات حياته المختلفة.

وبناء عليه، يعتمد الغربيون بتسميتهم لعلم البيئة "كلمة من مقطعين يمتدان إلى الإغريقية (Oikos) بمعنى منزل (Home) و(Logos) بمعنى دراسة (Study of) وأوّل من استعمل هذا المصطلح عام 1885م العالم الغربي ريتر (Reiter) أي أنه العلم الذي يهتمّ بدراسة الكائن الحي في منزله، ويضاف إلى ذلك تعريف العالم (Haeckle) والذي يصف فيه علم البيئة بأنه دراسة العلاقات المتبادلة بين الكائن وبيئته المحيطة به، فهي كما ورد في المصادر الأجنبية (Ecology)".[5]

البيئة في دلالتها الاصطلاحية عند النجار مأخوذة من المعنى اللغوي، الذي يحيلنا إلى معنى المنزل، لكنها دلالة أكثر شمولاً من اللغوي، فهي تعني: "المنزل الكبير للإنسان الذي يشمل كلّ ما له علاقة بممارسة نشاطه، بل كلّ ما له علاقة بحياته من موجودات أرضيّة وفضائيّة سواء كانت متمثّلة في أفراد أو أنواع أو في أنظمة وأوضاع، حتّى لَيصحُّ القول إنها أصبحت تعني كل المجال الذي يعيش فيه الإنسان".[6] يبدو أن مفهوم البيئة عند النجار يتجاوز المفهوم اللغوي الضيق الذي يحصر البيئة في إطار المنزل، ليتسع المجال الدلالي للبيئة ليشمل كل ما له علاقة بحياة الإنسان وممارساته أفقياً وعمودياً. وقد قال النجار في شأن أهمية البيئة التي يعيش فيها الإنسان: "هي المجال الحيوي لحياته، إذ منها يستمدّ قوام تلك الحياة في الحفاظ عليها وفي تنميتها على حدّ سواء، وهي لذلك تُعتبر بالنسبة إليه الرقم الأساسي المباشر في حساب وجوده".[7]

1-ب- تعريف المشكلة البيئية:

تجدر الإشارة إلى أن البيئة ليست مجرد موجودات حية وغير حية تشترك في الوجود بمجرد التجاور أو التداخل، وإنما هي "نظام متكامل تتفاعل فيه الموجودات البيئية وفق ميزان دقيق من العلاقات المتبادلة وشبكة معقدة من الحلقات الرابطة بين تلك الموجودات في دوائر من الأنظمة تحكم البيئات المحلية الخاصة بكل وسط بيئي متشابه، وتندرج تلك الأنظمة الأصغر منها في الأكبر حتى تنتهي إلى دائرة شاملة هي نظام يحكم البيئة كلّها، ويعتبر ذلك النظام عنصرا أساسيا من عناصر البيئة".[8] وهو ما يؤكده قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر:49). معنى هذا أن خرق هذا النظام، يحدث اضطراباً في توازنها.

وبناء عليه تعرّف المشكلة البيئية بأنها: "إخلال في التوازن الطبيعي للأنظمة البيئية، هذا الإخلال ينجم عن تغير في واحد أو أكثر من الخواص الفيزيائية أو الكيميائية أو الحيوية لكلّ أو بعض مكونات الغلاف الحيوي، ... نتيجة

---

[4] Larousse Dictionnaire de FRANÇAIS, france, 2010, ; p151.

[5] العزاوي، أكرم محمد صبحي. **التربية البيئية بين المنهج والتطبيق**، المملكة الأردنية الهاشمية: دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، 2010م، ص18.

[6] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، الدوحة- قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1999م، ص ص18-19.

[7] المصدر نفسه، ص78

[8] المصدر نفسه، ص34.

لنشاط الإنسان، وغالباً ما يؤدّي هذا التغيير إلى حدوث آثار ضارة على صحة الإنسان ورفاهيته، وعلى صحة الحيوان والنبات، وأحياناً على المواد غير الحية النافعة".[9]

وقد أورد النجار في التوصيف العام للمشكلة البيئية بأنها: "ما يطرأ على البيئة من عطل في أداء مهمتها في إنماء الحياة ورعايتها وعلى رأسها حياة الإنسان، وذلك بأي سبب من الأسباب، سواء أكان انهياراً في مكوناتها أو اختلالاً في توازنها أو اضطراباً في نظامها".[10] يبدو أن النجار يربط مشكلة البيئة بوجهها السافر، بالنشاط الصناعي للإنسان، وهنا يؤكد النجار بأنه: "ربما كان الإنسان تسبّب منذ زمن بعيد في بعض المشكلات البيئية كانقراض بعض الحيوانات وتصحّر بعض المناطق الخضراء، ... ولكنّ تلك المشكلات لم تكن ذات خطر كبير على نمو الحياة، كما أنها لم تتجاوز في آثارها النطاق المحلّي المحدود. ولكنّ الثورة الصناعية أفضت بالإنسان طيلة قرنين إلى ممارسات بيئية مرهقة لمكوّنات البيئة وأنظمتها ... مهددة لذلك النظام بالاضطراب العنيف المدمّر للحياة".[11] فاختلال التوازن البيئي يضر بالكائنات الحية وغير الحية في النظام البيئي.

وقد صنّف أحد المفكرين الاعتداء على البيئة الطبيعية بالاستغلال اللاعقلاني بالجرم ففي نظره: "تدمير البيئة الطبيعية بمثابة سقوط من الإنسانية، وهو ارتكاب جريمة شنعاء في حقّ الخلق، لقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ (الإسراء:44).[12] وأنه "نادراً ما استطاع أي صوت أن يعبّر عن أن الاعتقاد السائد في السيطرة على الطبيعة هو انتهاكها من المنظور الديني، ومخالفة دور الإنسان في المحافظة عليها".[13]

2- النموذج المعرفي الغربي المادي وتداعيات الأزمة البيئية عند النجار

2-أ – المشكلة البيئية والثقافة

لفت انتباه النجار أن الفكر البيئي ضمن اهتمامه بمشكلة البيئة قد كان "ينصبّ انشغاله على توصيف مظاهر المشكلة، أما أسبابها فلم تُولَ إلا القليل من الاهتمام ... وذلك ... مظهر قصور في هذا الفكر كان له أثره في مجمل قضايا البيئة بصفة عامة".[14] وهنا يؤكد النجار بأنه على الرغم من استشعار المشكلة والشروع في تحمل المسؤولية إلا أن القصور

---

[9] الطائي، إياد عاشور وعلي، محسن عبد. **التربية البيئية**، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2010م، ص ص31-32.

[10] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص 46.

[11] المصدر نفسه، ص 47.

[12] نصر، سيد حسين. **الإنسان والطبيعة**، ترجمة: عمر نور الدين (عمر الفاروق عمر)، جمهورية مصر العربية: آفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2019م، ص16.

[13] المرجع نفسه، ص22.

[14] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص 66.

الذي يراه يكمن في أنه: "يُهمِل من أبعاد تلك المسؤولية البعد الأهمّ منها، وهو البعد الثقافي فيها، فالمؤتمرات البيئية التي تعقد في هذا الشأن، والبحوث والدراسات التي تنجز بخصوصه، ... تتّجه في أغلبها إلى الأبعاد القانونية والسياسية والتكنولوجية، ... والحال أنّ ذلك البعد المهمل هو أهمّ الأبعاد في أزمة البيئة جميعاً، وأحسب أنّه هو العنصر الأكبر المحدّد للنجاح في تلافي هذه الأزمة أو الفشل فيه".[15]

وهذا الملحظ قال به المفكر الإيراني سيّد حُسيْن نصر في مقدمة كتابه الإنسان والطبيعة: إذ قال في شأن وصف دوافع المهتمين بالبيئة ومحبي الطبيعة قائلا: "**وظلت القوة الدافعة لهذه الحركات سطحية إلى حد كبير بالنسبة إلى إنسانية ولَّت وجهها إلى القشور بفعل الحداثة، وليس من اليسير رؤية أن الوعثاء التي تردّت فيها البيئة مجردَ تجلٍّ ظاهري لبؤسِ الحال الباطن لهذه الإنسانية، التي كانت أعمالها مسؤولة عن الأزمة الإيكولوجية**".[16]

وقد انتقد النجار هذه المعالجة ونعتها بالسطحية، وأن ما تمّ من تناول تلك الأسباب بالبيان كان تناولاً جزئياً ظاهرياً لم يبلغ من العمق تلك الدرجة التي تنتهي بتتبع حلقات الأسباب إلى منتهاها لِتَقف على السبب الحقيقي، إذ يعتقد "أن الفكر البيئي وهو سليل الفكر المادّي في عمومه سوف لن تكون له القدرة على التفصيل في هذا السبب الثقافي لأزمة البيئة ولا القدرة بالتالي على تفصيل الحلول لهذه الأزمة من منظور ثقافي ... وهنا يأتي دور الدين والفلسفة الروحية في التوجيه إلى الكشف عن أسباب الأزمة البيئية في الخلل الثقافي الذي أصاب العلاقة بين الإنسان والبيئة، والتوجيه إلى حلول تلك الأزمة تقوم على إصلاح الخلل في تلك العلاقة".[17] وفي هذا السياق يصرّح السيد حسين نصر أنه: "من الأوفق معالجة المبادئ والأسباب بدلاً من الخوض في العرضيات والنتائج".[18] فالمشكلة البيئية في نظر النجار في الأساس مشكلة ثقافية.

2-ب- تشخيص أسباب المشكلة البيئية عند النجار:

أرجع النجار أسباب نشأة الأزمة البيئية "في منشئها ومضاعفاتها ليست إلاّ من صناعة الحضارة الغربية الحديثة التي أنتجتها النهضة الأوروبية منذ بضعة قرون، ... وإذا بدا في الظاهر أنّ هذه الأزمة البيئية هي إفراز للتقدّم الصناعي والزراعي والعمراني العظيم ... فإنها تضرب في أسبابها الحقيقية بجذور عميقة في المرجعية الثقافية التي أنشأت تلك الحضارة ووجهتها، حتى ألقت بها في أتون الأزمة البيئية الراهنة ... من ذلك مثل حقيقة البيئة المادية بين الواقع والخيال، وقيمة المادة البيئية بين الرفعة والبخس، وعلاقة الإنسان بالبيئة، لندرك على أساس ذلك تأثير هذه العناصر الفلسفية على السلوك البيئي الذي

---

[15] النجار، عبد المجيد. **البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة**، ضمن كتاب: أعمال الملتقى الدولي: الحفاظ على البيئة في الإسلام وفي الدراسات العلمية المعاصرة مارس 2011م، ج1، الجزائر: منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2012م، ص62.

[16] نصر، سيد حسين. **الإنسان والطبيعة**، مرجع سابق، ص8.

[17] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص71

[18] نصر، سيد حسين. **الإنسان والطبيعة**، مرجع سابق، ص17.

نتجت عنه الأزمة الراهنة".[19] بناء على هذا القول يمكن تشخيص أسباب المشكلة البيئية في ثلاث مداخل وهي: حقيقة البيئة في الفكر الغربي المعاصر، وقيمة المادة البيئية، وأخيراً علاقة الإنسان بالبيئة.

وقد حلل النجار هذه الأسباب مشيراً إلى أن حقيقة البيئة المادية في الفكر الفلسفي الغربي تقوم على تَمثّل ذهني للطبيعة تتشكّل فيه كثير من عناصر الحقيقة المادية للطبيعة البيئية من صناعة العقل الإنساني، مما سيكون له أثر بالغ في التعامل السلوكي إزاء البيئة، فعلى سبيل المثال قديما صوّر الفيلسوف اليوناني أفلاطون في نظريته في المثل الموجودات التي نراها في العالم على أنها مجرد ظلال وأشباح للوجود الحق الكامن في عالم المثل. أما في الفلسفة الحديثة فقد اعتقد الفرنسي روني ديكارت أن وجود الموجودات أساساً منبثق عن وجوده الفكري وهو ما تضمنته عبارته الشهيرة: أنا أفكر إذن أنا موجود.[20]

"وهكذا ينتهي الأمر بالفلسفة الغربية الحديثة التي وجّهت الحضارة الراهنة إلى أن رسمت صورة للوجود المادّي للبيئة تَنزع منزع التصورية الذهنية وذلك في مقابل التصور الثقافي الإسلامي الذي يجعل من الوجود البيئي وجوداً واقعياً مستقلاً في جملته وتفصيله عن الذات المدركة مما سيكون له بالغ الأثر في السلوك البيئي".[21]

أما بالنسبة لقيمة المادة البيئية فيشير النجار أن الفكر الفلسفي الغربي سليل الثقافة اليونانية وكذلك الثقافة الغنوصية الشرقية، هذه الأخيرة التي توصّف أصل المادة البيئة بالخسة والدونية، في مقابل الموجودات العقلية الروحية التي تتّسم بالسموّ والرّفعة. وتعتقد أن مادة الطبيعة سجن حلّت فيه الروح الإنسانية، وذلك فيما يعرف بفكرة التناسخ التي تعتبر فيها موجودات البيئة لعنة للإنسان على ما يكسب من خطيئة. وقد ورد في العهد القديم أن الأرض تُعتبر ملعونة بسبب خطيئة آدم في الأكل من الشجرة المحرّمة، ولا يأكل منها إلاّ بالتّعب كلّ أيام حياته، وأن الله سيخلق للطائعين أرضاً جديدة لينسيهم بها هذه الأرض الملعونة. ومما يمكن أن يدرج في التصور الاستنقاصي للبيئة ما تقوم عليه الفلسفة الحديثة في وجهها الاقتصادي وبالأخص ما يعرف بنظرية الندرة في الموارد الطبيعية، بمعنى أنه سيأتي يوم على الإنسان تنفذ فيه تلك المقدرات فيكون وجوده عرضة لخطر الفناء، وعليه يستنقص من قيمة البيئة، بوصفها بيئة عاطلة عن توفير شروط الحياة.[22]

أما فيما يخص علاقة الإنسان بالبيئة، فإنه يتجاذبها تياران أحدهما: يتجلى في الثقافتين الغنوصية الشرقية واليونانية إذ يقوم انفصال بين الوجود الإنساني والوجود الطبيعي البيئي، إذ الرفعة تكون للإنسان المتمثلة في تلك الروح التي هبطت من عالم المثل فحلّت في الجسم المادي حلول الغريب في سجن مقيت، يكون كلّ همّه الانعتاق من ذلك السجن المادي المتمثل في البيئة الطبيعية، والتي يعد جسم الإنسان أحد أدواتها.[23]

---

[19] النجار، عبد المجيد عمر. **البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة**، مصدر سابق، ص63.

[20] المصدر نفسه، ص ص64-65.

[21] المصدر نفسه، ص ص 66.

[22] المصدر السابق، ص ص67-68.

[23] المصدر نفسه، ص69.

وثانيهما: نزعة قائمة على الوحدة بين الإنسان والبيئة، وهي الأخرى لم توفق في إقامة المعادلة التي انخرمت بالفصل، فقد نشأ في الفكر الغربي منزع مادي يوحّد بين الإنسان والطبيعة، وتعتبر الفلسفة التطوّرية أحد تجلياته التي جعلت من الإنسان حلقة من حلقات البيئة ناشئة بالتطوّر عن حلقات منها أدنى، وقد تنتهي إلى حلقة أعلى، ومثله في ذلك مثل أي موجود بيئي آخر، وقد وصلت درجة المطابقة بين الطرفين لدرجة انتفت فيه إمكانية أي تميّز قيمي للإنسان على البيئة، لا في أصل وجوده ولا في عناصر تكوينه بل وفي الغاية من حياته. ولعل مما يعزز نفي تفوق وتميز الإنسان القيمي على البيئة، الاكتشافات الفلكية العظيمة التي أظهرت سعة للكون أضحى فيها الإنسان بل والكرة الأرضية التي هو عليها ليسا إلا ذرة في محيط غير متناه، وكان هذا الانخرام بوجهيه هو الصورة الثقافية التي وجّهت الحضارة الغربية في سلوكها البيئي، مع ما نتج عن ذلك التوجيه من المشاكل.[24]

وهنا يؤكد السيد نصر حسن أن أزمة البيئة، ناشئة عن النظرة الكلية الكونية التي تُعطي للإنسان قوة غير محدودة لقهر الطبيعة، مما تسبّب بفصل البركة والقداسة عن الطبيعة.[25]

وفي غياب العلاقة الوجدانية أصبحت رابطة الإنسان بالبيئة لا تعدو أن تكون رابطة بمخزن كبير لغذاء مع ما تتضمن من معاني القحولة والجفاف. ومن ثمة نشأت نظرة ازدرائية استنقاصية للبيئة تطوّرت شيئاً فشيئاً في خضم الكدح الإنساني لاستثمار الطبيعة والتوقي من غوائلها إلى ضرب من العداء بينهما، ترى له أثراً بيّناً في النظر التحقيري للمادة التي كان مشاعاً في الفلسفة اليونانية، وفي تلك المشاهد الرومانية من العراك بين الإنسان والحيوان التي حفظتها التماثيل ولوحات الفسيفساء، وفي تلك العبارات الرائجة اليوم في الثقافة الغربية من مثل : غزو الفضاء، وقهر الطبيعة، وما شابهها من العبارات العدائية للبيئة الطبيعية".[26]

يتبين مما سبق أن المنظومة الثقافية الغربية بتراكماتها وإرثها التاريخي هي السبب الرئيس في المشكلة البيئية الراهنة، وعليه فإن العلاج البيئي يكون ثقافياً بتعديل المرجعية الفلسفية في التصور البيئي. ويحسب النجار أن: "العلاج الثقافي الذي هو الموجّه الحقيقي للتعامل السلوكي معها، وهو بالتالي المؤثر الأكبر في ذلك السلوك بما يثنيه عن العدائية والصراع والاستنزاف".[27] وهو ما سيتمّ بيانه.

ثانيا: موقع البيئة في المنظومة الثقافية الإسلامي عند النجار: بين النظر والسلوك

1-التصور الثقافي لحقيقة البيئة عند النجار:

---

[24] المصدر نفسه، ص ص72-73.

[25] نصر، حسين. **قلب الإسلام: قيم خالدة من أجل الإنسانية**، تعريب: داخل الحمداني، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2009م، ص 154.

[26] النجار، عبد المجيد عمر. **البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة**، مصدر سابق، ص ص74-75.

[27] المصدر نفسه، ص75.

يقصد النجار بالتصور الثقافي للبيئة: "ذلك الموقع الذي تحتلّه البيئة في المنظومة الفكرية للإنسان على سبيل الاقتناع الديني أو الفلسفي أو الأسطوري ... والإنسان مهما يكن من درجة نموّه الحضاري فإنه يكون حاملاً لصورة ثقافية عن الكون، ... وضمن تلك الصورة في عمومها يكون تصوّره للبيئة التي يعيش فيها ويتعامل معها في تحقيق حياته".[28] ويضيف أن التصور الثقافي هو: "**ما يستقرّ في ذهن الإنسان من صورة تتأتّى له من دين أو فلسفة فتحدّد له حقيقة البيئة من حيث مأتاها ومصيرها وعوامل تدبيرها بين ذلك المأتى وذلك المصير، ومن حيث أبعادها فيما إذا كانت منحصرة في ظواهرها المادّية أو ممتدّة إلى ما وراء تلك الظواهر من آفاق روحية، ومن حيث علاقتها بالإنسان وعلاقة الإنسان بها فيما إذا كان يُعتبر جزءاً منها أو منفصلاً عنها، وفيما إذا كانت مناقضة له بالعداوة أو منسجمة معه بالمحبّة والقربى، ومن حيث طبيعة منزلتها ودورها في المهمّة التي على الإنسان أن يؤديها في حياته**".[29]

هذا التصور لحقيقة البيئة في التصور الإسلامي يتفرع إلى عنصرين محوريين حدّدهما النجار بقوله: "**أولهما الحقيقة الذاتية للبيئة في منشئها وتدبيرها ومصيرها، وفي عناصرها وأبعادها الظاهرة والخفية، وفيما ركبت عليه من القوانين الكلّية التي تحكمها. وثانيهما العلاقة بين الإنسان وبين البيئة فيما تمتدّ إليه من جوانب مادّية وروحية تكويناً وشعوراً، وفيما بُنيت عليه من الغائية البادية بين الطرفين وفيما تنتهي إليه من وجوه التصرّف السّلوكي من قبل الإنسان إزاء البيئة.**"[30] وتفصيل ذلك على النحو الأتي.

1-أ- الحقيقة الروحية وأثرها على السلوك البيئي:

يقصد النجار بالحقيقة الروحية ما يقابل المادي، أي ما تتضمنه البيئة من المعاني غير ما يبدو من مظهرها المادّي، فهو معنى قائم في ذهن الإنسان، ملازم للصورة المادّية للبيئة، وهي حقيقة لا تتأتى للإنسان بوسائله الحسّية، وإنما يدركها بقواه الروحية، فهي روحية باعتبار طبيعتها المعنوية، وكيفية إدراكها.[31] ويشير هدي الوحي من القرآن والحديث في تصريح وتلميح إلى أن البيئة تتجاوز في حقيقتها ظواهرها المادية لتتضمن أبعاد ومعاني روحية ثم يرشد للتعامل معها على أساس تلك الحقيقة. وتتجلى العناصر الروحية للبيئة في **البعدين العقدي الجمالي**.

بالنسبة **للبعد العقدي**: تعدُّ البيئة أثر معلول لوجود آخر يختلف عنها اختلافاً كلياً في كلّ شيءٍ، وهو وجود غيبي أنشأها أوّل مرة، ثم هو يرعاها ويدبر أمرها طيلة وجودها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى

[28] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص77.
[29] المصدر نفسه، ص78
[30] المصدر نفسه، ص79.
[31] المصدر السابق، ص ص83-84.

سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (يونس:3)،[32] وترجع معاني الشهادة العقدية للبيئة إلى معنيين:

- **البيئة شاهدة بالألوهية**: تشهد **البيئة بالوجود الإلهي** حيث يقف الناظر فيها على التجلّي الإلهي في كلّ أحوالها، فعلى سبيل المثال من حيث بعدها الكمي: قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ﴾ (الشورى:29)، وهي شاهدة بالوجود الإلهي فيما يطرأ عليها من الحركة من مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ (يس:38).[33]

كما تشهد **البيئة بالصفات الإلهية**: إن ما جاء من تصوير للبيئة في انسجام عناصرها وتكامل مكوناتها ووحدة نظامها شاهدة بذلك كلّه على وحدانية خالقها ومدبر أمرها، وهو ما يبيّنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ (الملك:3)، والإنسان لا يملك في ذلك شيئاً إنما هو مستخلف في هذه البيئة، لقوله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (الحديد: 7). كما تقترن مشاهدة البيئة في القرآن قرينة بوحدانية الله تعالى في معبوديته لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ (النور:41).[34]

- **شهادة البيئة على الآخرة**: تتضمن حقيقة البيئة عقيدة البعث في الحياة الآخرة، فقد جاءت هذه العقيدة مناط شهادة بيئية في الكثير من مقامات القرآن الكريم التي تعرض مشاهد من البيئة الأرضية تتضمن في منقلبات أحوالها، وفي نشوء بعضها من بعض دلالة على نشوء الحياة في يوم آخر بعد الموت الذي يصيب الأحياء في هذه الدنيا، ومما جاء في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (فصلت:39). فالقرآن الكريم يبث في الأذهان أن الوجود البيئي له وجه روحي (عقدي) ينطق به الوجود الظاهر.

أما بالنسبة **للبعد الجمالي**: فإن البيئة تتضمن بُعداً جمالياً كعنصر من عناصر حقيقتها الروحية، وجاء التصوير القرآني لجمال البيئة من خلال:

---

[32] المصدر نفسه، ص86.

[33] المصدر نفسه، ص ص88-91.

[34] المصدر السابق، ص ص91-93.

- **واقعية الجمال البيئي**: يصوّر القرآن الكريم جمال البيئة على أنّه حقيقة واقعية، وهو ما من شأنه أن يرفع من قدرها في تصوّر الإنسان، إذ تكون قيمة الجمال خاصية من خصائصها الذاتية وليس أمراً مُضفى عليها من خارجها على سبيل التّخيّل، وبين الأمرين فارق فيما يحدثه كلّ منهما من الأثر النفسي التربوي في التّصرّف البيئي، وهو فارق ما بين التعامل مع قيمة حقيقية واقعية والتعامل مع قيمة خيالية تصنعها الأوهام. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (النمل:60). وهكذا يتبدى الجمال في البيئة أنّى اتّجهت بنظرك إليها في كمّها وكيفها بما يرسّخ في التصوّر الذهني أنّه جمال من ذات الوجود البيئي نفسه.[35]
- **المتاع الجمالي في البيئة**: وهي مصدر مهمّ لغذائه الروحي، فالإنسان مفطور على حاسة جمالية تتطلب إشباعاً بالتملّي من مشاهد الجمال كما تطلب حواسه المادّية إشباعاً بمباشرتها لمطالبها المحسوسة. وفي سياق هذا المعنى تبرز البيئة على أنها نعمة من النّعم الروحية للإنسان بما تحقّق له من متعة الجمال، وهو ما كان يؤكد عليه القرآن الكريم ويوجّه إليه في عرضه البيئي، من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ (الحجر:16).[36]
- **العبرة العقدية في الجمال البيئي**: يمكن للجمال أن يكون عامل إغواء يركن بالإنسان إلى الحضيض المادّي، وذلك حينما ينظر إلى الجمال النظرة السطحية التي لا تتجاوز إثارة الغرائز المادية إلى إثارة الحاسة الجمالية، ولهذا وجّه القرآن الكريم الإنسان في عرضه للجمال البيئي إلى المتعة الروحية بذلك الجمال، وكان غرضه من ذلك التعديل من ذلك الإشباع بتوجيه المتعة إلى الأفق الروحي ليكون التعامل مع البيئة تعاملاً متوازناً، وهو ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف:7).[37]

وقد عزا النجار الأزمة الراهنة التي تعانيها البيئة الطبيعية في شطر كبير منها إلى فقر الحضارة الغربية إلى المتاع الروحي بالبيئة، وهو الذي أفضى بها إلى خشونة التعامل البيئي، وذلك خلافاً للتصوّر الإسلامي الذي يفسح لذلك البعد حيّزاً مهماً تترتّب عليه واقعياً آثار مهمّة في التّصرّف البيئي بما يحافظ على صلاح البيئة ويجنبها الفساد.[38]

1-ب- الحقيقة المادية للبيئة وقيمتها في التصوّر الإسلامي:

[35] المصدر نفسه، ص ص97.
[36] المصدر نفسه، ص ص99-100.
[37] المصدر السابق، ص101.
[38] المصدر نفسه، ص ص123-124.

تجدر الإشارة إلى أن الوجود الواقعي للمادّة البيئية، قد كان محلّ خلاف في الواقع الفلسفي الثقافي للمذاهب والأديان، وقد كان لهذا الخلاف دور مهمّ في الأزمة البيئية القائمة، أما التصور الإسلامي فإنه يقوم على إثبات وجود واقعي كامل للمادة البيئية كما تشهد بها الحواس. بالإضافة إلى أن البيئة التي يعيش فيها الإنسان تتصف برفعة القيمة وعلوّ الشأن سواء في ذات مادتها أو في تراتيبها وأنظمتها، كما أن الإنسان أرفع منها قيمة وأعلى شأناً باعتبار مكوناتها إنما وجدت من أجله في سبيل تحقيق مهمّة وجوده.[39]

وهي ثقافة لا تحقّر من أمر البيئة شيئاً، بل تعتبر في أصل وجودها تنعم إلهي على الإنسان، تحقق له الخير المادي والروحي، وعلى تلك الثقافة قامت الحضارة الإسلامية.[40] كما جاء في التصوّر الإسلامي أن البيئة التي قد وجدت لأجل أن تستمر حياة الإنسان ونموّها، كي ينجز مهمة الخلافة، وهي مورد للحياة لا يفنى، ويتواتر هذا المعنى من كفاية البيئة في القرآن الكريم، ويأتي التعبير عن هذه الكفاية في الغالب بديمومة الرزق الإلهي لخلقه عامة وللإنسان خاصة، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (هود:6).

2-المبدأ **الأخلاقي الناظم لعلاقة الإنسان بالبيئة**

يقر النجار بأن: "التصور الفلسفي والعقدي لعلاقة الإنسان بالبيئة له بالغ الأثر في تصرفه السلوكي إزاءها، ويقوم هذا التصور على معادلة دقيقة بين الإنسان والبيئة طرفاها وحدة من جهة، وتميّز للإنسان من جهة أخرى، فهذه المعادلة في دقّتها وحكمتها هي التي تثمر السلوك البيئي الرشيد العاصم من الأزمات، وأيّ انهزام فيها يؤدي خلل في التعامل البيئي كما هو حاصل اليوم".[41]

تقوم علاقة الإنسان بالكون على "الأساس العقدي لشرح الوجود في العقيدة الإسلامية. وكذلك الأساس العقدي للغاية من الوجود الإنساني، ... العقيدة الإسلامية تشرح الوجود على أنّه ثائية ذات طرفين مختلفين متباعدين، هما الله تعالى، وما سواه من الموجودات (العالَم)، وتعتبر أنّ الوجود الحقيقي إنما هو الوجود الإلهي، فهو الأزلي الأبدي، في حين أن الوجود العالمي وجود ناقص، لأنه معلول للوجود الإلهي وأثر من آثاره".[42] وتتحدّد هذه العلاقة من خلال:

2-أ-**وحدة الإنسان والبيئة:**

[39] النجار، عبد المجيد عمر. **البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة**، مصدر سابق، ص ص76-79.

[40] ينظر: المصدر نفسه، ص ص78-82.

[41] المصدر السابق، ص84.

[42] النجار، عبد المجيد. الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية، **المسلم المعاصر**، العدد:77، أكتوبر 1995م، ص ص15-16.

أدّى انحياز الإنسان والكون معا في طرف واحد من طرفي ثنائية الوجود الذي هو العالم، وخضوع هذا الطرف من الثنائية للطرف الأول (الله) في الخلق والتسيير، إلى تولّد علاقة وحدة بينهما، ما فتئ القرآن والحديث يبيانها.[43] وتبرز هذه الوحدة على الصعيدين المادي والروحي، ومن مظاهرة الوحدة المادية وحدة التكوين، فالإنسان يتكوّن من نفس العناصر التي تتكوّن منها الموجودات الكونية الجامدة والحية، على الرغم مما يبدو في الظاهر من اختلاف بينه وبيم الجمادات، إلا أن أصل تكوينهما واحد وهو التراب، يقول الحق تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ﴾ (الحج:5)، أما إذا قورن بما على الأرض من مظاهر الحياة تبيّن أن وحدة التكوين الجامعة بينهما هي عنصر الماء، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ﴾(الأنبياء:30).[44]

أما من مظاهر الوحدة الروحية بين الإنسان والكون، وحدة المأتى والمصير، فكل منهما ناشئ من العدم بالإرادة الإلهية، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا﴾ (الفرقان:2)، وكل منهما يتحرك إلى نهاية محتومة هي الرجوع إلى الله والمصير إليه لقوله جل وعلا: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ (المائدة:18).[45] ويعتقد النجار أن التصوير القرآني لمظاهر الوحدة بين الإنسان والبيئة قد ورد في مظاهر متعددة ومقامات مختلفة، وهو ما يبين عن قصد قرآني تربوي سلوكي في التعامل البيئي كما سنبينه لاحقا.[46]

2-ب-رفعة الإنسان على البيئة:

إن مظاهر الوحدة بين الإنسان والكون لا تتعدى في دلالتها معنى الاشتراك بينهما في جزء من الطبيعة المادية بحكم الانتماء إلى نفس الطرف من ثنائية الوجود، لكن في التفاضل القيمي، يبقى الإنسان متميزاً على الكون تميز استعلاء ورفعة، وهو ما يؤكده القرآن الكريم كلّما ذكر الإنسان في معرض الموجودات،[47] وجماع ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾ (الإسراء:70).

---

[43] النجار، عبد المجيد عمر. **قيمة الإنسان: الإنسان في العقيدة الإسلامية**، الرباط-المملكة المغربية: دار الزيتونة للنشر، ط1، 1996م، ص60.

[44] المصدر نفسه، ص63.

[45] النجار، عبد المجيد. **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: "بحث في جدلية النص والعقل والواقع"**، ص35.

[46] النجار، عبد المجيد عمر. **البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة**، مصدر سابق، ص88.

[47] النجار، عبد المجيد. الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية، **المسلم المعاصر**، مصدر سابق، ص20.

كما يوصَف الإنسان ويُعرّف وفقاً لعلاقته بالله، وتُرتّب حقوقه وواجباته على أساس تلك العلاقة، فقد ورد في الحديث المعروف: "خلق الله آدم على صورته"، وتعني الصورة هنا تجلّي الصفات والأسماء الإلهية، فالإنسان عاكس لصفات الله كالمرآة التي تعكس نور الشمس، وفي النتيجة اختار الله الإنسان من بين المخلوقات وجعله خليفة وعبداً لله، فالإنسان وفي مقام العبودية يجب عليه إطاعة الله حق طاعته، وفي مقام الخلافة يجب عليه السعي لتحقيق الإرادة الإلهية في الأرض.[48]

وترجع مظاهر رفعة الإنسان إلى:

- ✓ خص الإنسان برفعة وجودية، وتتمثل في ذلك الوضع المحوري الذي وهبه الله للإنسان في نسبته من سائر الموجودات الأخرى، ويبدو ذلك في أوّل آيات القرآن نزولا إذ يقول تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ (العلق:1-2)، فتخصيص الإنسان بالذكر في معرض البيان لنشأة وجوده بعد بيان نشأة الوجود كله إجمالا، فيه دلالة على الوضع القيمي لهذا الإنسان المخصوص بالذكر والبيان، وهو وضع يصير به الإنسان قطب الوجود.[49]
- ✓ كما خُص الإنسان برفعة في تكوينه الذاتي حيث استجمع في هذا التكوين العناصر التي تتأسّس منها سائر المخلوقات الكونية كما لم يستجمعه أي كائن آخر، فهو يتكوّن من عنصرين رئيسيين: عنصر ترابي مادي، وعنصر روحي عقلي،[50] لقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ۝٢٨ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ (الحجر:28-29).
- ✓ كما خص بتميّز على المستوى المعرفي، والمتمثل في قدرته للاستيعاب المعرفي للكائنات، إذ هو مهيأ بوسائله الإدراكية أن ينقل العالم الخارجي في مواصفاته الكمية إلى عالمه الداخلي في سبيل التصور، فيصبح هذا الكائن الصغير حاملا في ذاته لذلك العالم الكبير.[51]

ينشأ عن علاقة الوحدة بين الإنسان والبيئة أثر تربوي عظيم في السلوك البيئي، قوامه عاطفة المحبة الناشئة من وشائج القرابة بينهما وما يترتب عليها من عواطف الرأفة والرحمة والاحترام، يقول تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ (الأنعام:38).[52]

---

[48] نصر، حسين. **قلب الإسلام: قيم خالدة من أجل الإنسانية**، مرجع سابق، ص ص206-607.

[49] النجار، عبد المجيد عمر. **قيمة الإنسان: الإنسان في العقيدة الإسلامية**، مصدر سابق، ص69.

[50] النجار، عبد المجيد. **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: "بحث في جدلية النص والعقل والواقع"**، ص37.

[51] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص ص176-178

[52] المصدر نفسه، ص ص158-159.

هذا ويعتقد النجار: "إن هذه التعاليم الدينية في شأن البيئة الطبيعية فيما ارتبطت به من معاني العقيدة هي مرجعية الحياة كلّها، إذا ما أضيف إليها التعاليم القانونية والأخلاقية الصارمة لتصبح كفيلة بأن تؤسّس ثقافة بيئية توجّه الإنسان إلى أن يشعر نح البيئة بالرأفة والوّد، ويتعامل معها بالرفق واللّطف، ويسعى في الحفاظ عليها وصيانتها من أن يطالها الخراب".[53] بناء على المنهج النقدي الذي وجهه النجار للتصور الثقافي للحضارة الغربية مقارنة بالأساس الثقافي الذي بنيت عليه حقيقة البيئة في الإسلام، أقر بأن: "هذه الأزمة في جوهرها أزمة ثقافية، فعلاجها هو بالأساس علاج ثقافي".[54]

2-ج- العلاقة الوظيفية بين الإنسان والبيئة:

تمثّل البيئة المسرح الذي يقوم عليه الإنسان بأداء وظيفته في الحياة، ألا وهي وظيفة الخلافة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة:30). هذه المهمة التي حددها الله تقتضي أن ينفذ الإنسان أوامر الله التي تهدف إلى تحقيق تعمير الأرض. وعليه فإن البيئة قدّرت في هذا التصوّر تقديرا تستجيب به للإنسان وهو مقبل على هذا الأداء بحيث يكون الإنسان "على علم كامل بكيفية تصرفه البيئي لينجز وظيفته في نطاق ذلك الموقف من البيئة إزاءه، وهذا التصور هو... التصور الثقافي الإسلامي للعلاقة الوظيفية بين الإنسان والبيئة ...إن العلاقة الوظيفية التي تربط الإنسان فيما تتطلبه وظيفته وما تتحمله قدراته وبين البيئة فيما تنفتح به على الإنسان من العطاء لينجز تلك المهمة في نطاق تلك القدرات".[55] وتتمثل هذه العلاقة في "التسخير" بمعنى أن البيئة مهيأة في أصل طبيعتها من قبل صانعها.تهيئة مقدرة بحيث تستجيب للإنسان فيما خص به من مهمة الحياة".[56]

وحينما يستقر في ذهن الإنسان فردا وجماعة استقرار ثقافيا راسخا هذه الوشائج مع البيئة، فإن هذه الثقافة من شأنها أن تفضي إلى سلوك بيئي يكون متصفا بصفات تقتضيها طبيعة تلك الصلة، ويأتي في مقدمة هذا السلوك: أخلاقية التصرّف البيئي بمعنى التعامل مع البيئة تعاملا يحدّده الشعور بالواجب إزاءها، ويكون فيه للقيم الخلقية نصيب وفير في التوجيه، بحيث تنتفي منه معاني الاستهتار واللامبالاة والأنانية والأثرة، وتنتفي معه أيضا معاني الحقد والتسلط والاحتقار،... ولعل أول ما يرتكز عليه هذا التصرّف ...هو الإحساس الروحي بها، ...فتكون البيئة في ذلك الموقع كائنا ذا روح ومشاعر وأحاسيس، ينتفع يتضرر، ويُسر ويألم، ويعافى ويمرض، وشأنه في ذلك لا يختلف كثيرا عن شأن الإنسان "[57]

---

[53] النجار، عبد المجيد عمر. **البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة**، مصدر سابق، ص94.

[54] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص194

[55] المصدر السابق، ص ص176-178

[56] المصدر نفسه، ص179.

[57] المصدر نفسه، ص ص196-197.

هذه المشاعر الأخلاقية التي تحدث في الإنسان إزاء البيئة من شأنه أن يوجه سلوكه البيئي توجيها أخلاقيا، بحيث يكون هذا السلوك عاملا على حفظ الحياة البيئية في عناصرها وأنظمتها، وتنميتها في سبيل البقاء والعطاء، وصيانتها من الدمار بجميع مظاهره[58]

أما السلوك الثاني يسلكه الإنسان إزاء البيئة "أن يجعل تصرفه في البيئة تصرّف قوامة عليها، بمعنى أن يكون راعيا، مشرفا عليها، يستفيد من خيراتها ولكنه يحافظ على مقدراتها بالصيانة والتنمية، ليكون ذلك الخير موصولا ولا ينتكس يوما ما بسبب إفساده فيه".[59]

ثالثا: رؤية استشرافية: لأفق العلاقة بين الإنسان والبيئة عند النجار:

لئن كان التصور الثقافي من شأنه أن يحدّد الوجهة العام للسلوك، فإنه كان لزاماً أن تضبط قواعد وتقرر أحكام ذات صبغة سلوكية عملية محددة في مباشرة البيئة بالتعامل لتكون محققة على وجه الدقة عمليا للغاية من التصور النظري...التي يهدف إليها".[60] وبما أن الصورة الثقافية للبيئة في التصور الإسلامي متميزة بخصوصيتها المتأتية من خصوصية العقيدة الإسلامية، فإن الصورة العملية للتعامل البيئي هي الأخرى كانت متميزة، وتتجلى هذه الأخيرة من خلال عنصرين أساسيين هما: **الأول** يتعلق بمباشرة البيئة والاستنفاع بمقدراتها الكمية والكيفية، **والثاني** يتّجه إلى مباشرة البيئة برفق يكون فيه حفظ لها من الخلل وصيانة لها من الفساد. وقد أطلق النجار على هذين العنصرين اصطلاح "**ارتفاق البيئة**" وجعله عنوانا للتصور الإسلامي في خصوص السلوك العملي في للتعامل البيئي، كون معناه يتضمن الانتفاع واللطف في آن واحد.[61]

1-الاستنفاع البيئي: مسوغاته وأقسامه وضوابطه

انخرط الإنسان في صلب الوجود البيئيّ بحكم طبيعته، وتحمّله مهمّة لا يمكن أن تنجز إلا بتفاعل بيئي عميق، وبناء عليه يتعين عليه أن تكون له علاقة استنفاع بالبيئة، وهي علاقة يتّجه فيها بالسّعي لتحصيل منافع منها،

فالسلوك البيئي في التصور الإسلامي يجعل من السعي في البيئة بالاستنفاع عنصراً محورياً في ذلك السلوك، ويقصد بالسعي: "هو ما يتجاوز الحدّ الفطري الذي يندفع إليه الإنسان بطبعه إلى أفق أعلى يكون به معمّراً في الأرض قائماً بالخلافة فيها".[62] مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة:10) فالابتغاء من فضل الله، إنما هو أمر بالمباشرة الاستنفاعية للبيئة.[63]

---

[58] المصدر نفسه، ص197.
[59] المصدر نفسه، ص205.
[60] المصدر السابق، ص ص215-216.
[61] المصدر نفسه، ص ص217-218.
[62] المصدر نفسه، ص220.
[63] المصدر نفسه، ص ص219-221.

1-أ-**أقسام الاستنفاع البيئي:**

- الاستنفاع الروحي:

لا يقتصر السلوك البيئي في التصوّر الإسلامي على تحقيق المطالب المادية، بل يتعدى إلى تحقيق مطالب روحية تتعلّق بإشباع أشواق في النفس من مقدرات البيئة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ﴾ (النحل:5-6)، فهذا فضل من الله في الأنعام، فضل مادي يتمثل فيما تمنحه من مأكل ومركب، وفضل روحي ممثل فيما تقدّمه من متاع جمالي.[64] ولهذا الاستنفاع البيئي الروحي وجهين:

***الاستنفاع المعرفي:**

البيئة خزان هائل للحقائق، ومعرفة الحقيقة غذاء للروح، لقوله تعال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ جَعَلَكُمۡ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعۡدِ عَادٖ وَبَوَّأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورٗا وَتَنۡحِتُونَ ٱلۡجِبَالَ بُيُوتٗاۖ فَٱذۡكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾ (الأعراف:74)، فذكر آلاء الله هو سعي معرفي، إذا ما تعطل هذا السعي آل تصرف الإنسان إلى الإفساد. ولعلّ من وجوه الاستنفاع المعرفي:

- السعي إلى تحصيل حقائقها في ذاتها، سواء من حيث تكوينها العنصري، أو من حيث سننها وقوانينها التي تجري عليها، فتحصيل تلك المعرفة يشيع في النفس الطمأنينة والأمن إزاء البيئة، فلا يبقى مجال لتفسيرات الخرافة والأوهام، ولا مجال للخوف من البيئة والتشاؤم منها.

- كذلك من وجوه استنفاع البيئة معرفياً السعي فيها لمعرفة دلالاتها من الحقائق الغيبية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ (العنكبوت:20) فالسير في الأرض إنما هو سلوك بيئي معرفي يتجاوز الحقيقة الذاتية للبيئة إلى ما وراءها من غيب الحياة الأخرى. وفي ذلك نفع روحي للإنسان، إذ به يكون الترقي بالذات الإنسانية، في تزكية نفس الإنسان للتقرّب من الكامل المطلق الكمال.[65] والعكس صحيح عندما يقصر السلوك البيئي عن المنحى المعرفي الروحي، فإنه يخل بالوظيفة المنوط بها.

***الاستنفاع الجمالي:**

الاستنفاع الجمالي سلوك يطلب إشباعاً لحاسّة الجمال في الإنسان، وهي حاسّة روحية، إذا ما وقعت تغذيتها بمشاهد الجمال كان ذلك عامل ترقٍّ روحي بما هو نزوع بالروح إلى آفاق المطلق،[66] وبما هو مفضٍ إليه من توليد مشاعر

---

[64] المصدر نفسه، ص222.

[65] المصدر السابق، ص ص223- 225.

[66] ينظر: نصر، حسن. **قلب الإسلام: قيم خالدة من أجل الإنسانية**، مرجع سابق، ص ص246-247.

الحب والرأفة والرحمة في الإنسان. من الناحية العملية فإن السلوك البيئي بالاستنفاع الجمالي يثمر في العلاقة بين الإنسان والبيئة رابطة روحية تنضاف إلى تلك الرابطة المادية، بما يؤثر الإحساس الجمالي في النفس من الشعور بالمحبة والرأفة والرحمة إزاء البيئة، وإلى الحد من غلواء المطالب المرهقة للبيئة، وقد اعتبره النجار:"موقف سلوكي يتّصف بالقسط، ويمثل الانخراط الصحيح للإنسان في النظام البيئي".[67]

وفي هذا السياق انتقد النجار الثقافات الأخرى. بوصفها تعاني من فقر ثقافي في التوجيه إلى سلوك استنفاعي روحي، إذ في الغالب "هذا السلوك يتعامل مع البيئة بعلاقة مادية، تخلو من الطلب للمنفعة الروحية، ...فاختل إذن توازن ذلك التعامل، إذ طغى الشّره لاستنزاف الموارد المادية، ... وانتهى الأمر بهذه الحضارة إلى زحف على البيئة يشبه الغزو الذي يبتغي افتكاك ما فيه إشباع للشهوات ولا يبالي بما قد يحدث من الدمار، وهو ما أدّى إلى ما تعانيه البيئة اليوم من أزمة مشهودة".[68]

1-ب- الاستنفاع المادي:

مما لا شك فيه أن حياة الإنسان تتوقف على الاستنفاع المادي، إذ هو مرتبط بالشهوات التي لها على الإنسان سطوة غالبة، وإذا لم يجري هذا الانتفاع على ضوابط قانونية وأخلاقية، فإنه قد ينتهي إلى السّرف، وما ينتج عنه من تداعيات منعكسة سلباً على البيئة نفسها. ولذلك جاء التصور الإسلامي بنظام ثقافي في الابتغاء المادي يقوم على قواعد عملية وضوابط سلوكية، تجعل استنفاع البيئة استنفاعاً عدلاً، اندفاع رفيق يحافظ فيه الإنسان على تلك الموارد لإقامة حياته،[69] ومن أوجه الاستنفاع المادي:

***عقدية الاستنفاع المادي وأخلاقياته:**

وجّه القرآن الكريم استنفاع البيئة مادّياً توجيهاً عقدياً، بأن جعل السعي الإنساني سبيل لتحقيق مهمة الخلافة في الأرض، فيكون التصرّف في المقدرات البيئية بالاستهلاك مُبتغى فيه الدار الآخرة، لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَاۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص:76-77). فالاستنفاع البيئي في هذا السياق العقدي "يصبح مأخوذاً مأخذ الوسيلة إلى غاية لا مأخذ الغاية في حدّ ذاته، إذ الغاية ... هي الاقتراب من الله تعالى بتحقيق الخلافة في الأرض، والانتفاع المادي بالبيئة إنما هو خطوة في سبيل تحقيق تلك الغاية... وهو ما يكون له الأثر الإيجابي على البيئة".[70]

---

[67] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص ص229-231.

[68] المصدر السابق، ص236.

[69] المصدر نفسه، ص 237.

[70] المصدر نفسه، ص ص 238-240.

وقد وجهت التعاليم الإسلامية الاستنفاع المادي وفق إرشادات أخلاقية تعود إلى مبدأين أساسيين وهما:

- **مبدأ العدل بين الناس**: بجعل مرافق البيئة ملكاً مشاعاً بين بني الإنسان. ليس لأحد أن يحتكر شيئاً لنفسه، لقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولاً فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ (الملك:15)، فهذا الخطاب يجعل الناس شركاء في مقدرات البيئة وعطائها المادّي، وهو ما من شأنه أن يحدث في النفوس الإحساس بالمسؤولية المشتركة اتجاه المرافق، ويجعل الجميع يحافظون على البيئة.
- **مبدأ الاستنفاع على قدر الحاجة**: أي دونما إهدار لشيء من مقدرات البيئة في غير ما حاجة، مهما كانت عليه تلك المقدرات من وفرة، فالتوجيهات الأخلاقية تتعلّق إذن بذات الاستهلاك وليس بحال المستهلَكات قلة ووفرة. فلا يكون إهدار لتلك الموارد باستهلاك ما فوق الحاجة مما من شأنه أن يخل بالنظام البيئي، ولكن الناظر بشمولٍ إلى آفاق المكان ومستقبل الزمان يدرك أن الوفرة الآنية إذا ما استهلكت بما فوق الحاجة فإنه ذلك يخل بالنظام البيئي. فيكون المبدأ الأخلاقي هو العاصم من الخلل، وذلك بخلاف الاستنفاع في حضارة الغرب الذي أصبح سياسة اقتصادية كجزء من النظام الحضاري مما أدّى إلى إرهاق تلك المقدرات.[71]

وبناء عليه لا ينبغي أن يترك الاستنفاع المادي للعشوائية والتلقائية والأهواء، إنما يجب تقنين ممارسة الاستنفاع المادي بمرافق البيئة من خلال معرفة القوانين التي بنيت عليها في طبيعتها مادة وكيفية، وهو ما يفضي إلى الحفاظ على البيئة، هو انخراط في دورتها بما يحافظ على انسجامها.[72]

2-الرفق بالبيئة:

جاء التصور الإسلامي في تحديده لعلاقة الإنسان بالبيئة بتشريعات تضبط قواعد استنفاع البيئة، مقترنة بتشريعات موازية توجّه إلى الرفق بالبيئة والحفاظ عليها، فتكونت بذلك معادلة دقيقة في التعامل البيئي بين الانتفاع والرفق "يتوازى فيها الطرفان بحيث يتم استنفاع البيئة بالقدر الذي ينجز فيه الإنسان وظيفته، ولكن يتمّ أيضاً الحفاظ عليها وصيانتها من أن تنالها الأضرار".[73] وتتمثل في:

1-**الرفق الصياني**: قدّرت البيئة الكونية في عناصرها وفي تركيبها ونظامها لتستجيب لنفع الإنسان وتحقيق مصلحته، لذا يتوجب على الإنسان في مباشرته للكون أن يعمل على صيانة مقدّراته الكمية والكيفية التي عليها خُلق، وأن يحافظ عليه في نظامه الذي ركّب عليه، منتفعاً به في حدود ذلك النظام المقدّر لمصلحته. إذ يعتبر القرآن الكريم التدخل الإنساني في نظام

[71] المصدر السابق، ص ص241-245.
[72] ينظر: المصدر نفسه، ص ص245-252.
[73] المصدر نفسه، ص ص253-254.

البيئة الكونية بتحريفه عن أغراضه الصالحة إفساداً في الأرض.[74] حيث توجّه التعاليم الإسلامية إلى التعامل مع البيئة برفق يكون فيه صيانة لها من الضرر، بالحفاظ على صلاح الأرض والنهي عن الفساد فيها، لقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف:56)، فالأرض هي تعبير عن البيئة، النهي عن الإفساد فيها وصيانتها.[75]

2-**الرفق الاستهلاكي**: مرافق البيئة هي نعم الله المقدرة في الكون والمعدّة لإقامة الخلافة في الأرض، وهي "مقدرات مبنية في وجودها على توازنٍ بينها يُفضي إلى التوازن البيئي الشامل، كما أنها مبنية على حكمة إلهية في تناسبها مع التصوّر الإنساني كمياً وكيفياً عبر التاريخ لتستجيب لهذا التطوّر وتدفع إليه وتنمّيه تحقيقاً للترقي الخلافي".[76] لذلك جاءت التعاليم بالوقوف في استهلاك مواردها عند الحدّ الذي تقتضيه وظيفته في الحياة، والذي هو مقدر في كمها وكيفها، محسوب في دورتها الكبرى، فيكون بذلك قد انخرط في الدورة البيئية انخراطاً رفيقاً يحفظ توازنها ويصون نظامها. دون أن يتجاوزه إلى ما وراءه مما هو غير مطلوب في إنجاز تلك الوظيفة من استهلاك لمقدراتها، مما قد يسبب لها إرهاقاً يفضي إلى اختلال توازنها.[77]

خاتمة:

يتّضح من خلال التحليل السابق المكانة الهامّة التي تحظى بها البيئة في سياق الفكر الإنساني عموماً وفي سياق الفكر الإسلامي المعاصر منه على وجه الخصوص، ويبدو أن اهتمام عبد المجيد النجار بمعالجة قضية البيئة لا يُعدُّ اهتماماً عرضياً بل هو اهتمام يستمدُّ مسوغات مشروعيته العلمية من القضايا التي لها صلة بالواقع، بالإضافة إلى أنه ينبع من عمق القضايا ذات الصّلة بالفكر العقدي، والمقاصدي في حفظ الإنسان، كما تمدّ البيئة بأواصر علائقها إلى تحقيق الرقي الحضاري، إذ تُعدُّ البيئة محضن للمنجزات الحضارية، وعليه فإن الطرح الذي تبناه النجار ينبع من الرؤية الشمولية للمشكلة البيئية التي لا تقتصر على المعطى المادي بل تتعداه إلى الأبعاد الروحية. وبهذا تبرز قضية البيئة كمشكلة ثقافية تتعلق بالممارسة الأخلاقية، باعتبار أن البيئة قبل كل شيء أمانة عُهدتها في يد الإنسان فهي إرث للأجيال اللاحقة.

ويمكن أن نحوصل نتائج الدراسة في نقاط ثلاث نوردها تواليا:

من **الناحية المفهومية**: يبدو أن مفهوم البيئة في معناه الاصطلاحي عند النجار مقتبس من المفهوم اللغوي، في دلالته على منزل الإنسان، لكنه يتعداه إلى المنزل الكبير ويقصد به كل ما يحيط بالإنسان، كما بلوّر النجار مفهوم الرفق بالبيئة الذي يحمل بين ثناياه معنى الانتفاع بمسخرات البيئة من جهة، وحفظ مواردها من الفساد من جهة أخرى.

---

[74] النجار، عبد المجيد عمر. **فقه التحضر الإسلامي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2006م، ص ص158-159.

[75] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص257.

[76] النجار، عبد المجيد عمر. **فقه التحضر الإسلامي**، مصدر سابق، ص165.

[77] النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، مصدر سابق، ص 285.

أما من **الناحية المعرفية**: فقد تركّز اهتمام النجار على استجلاء الحقيقة الأنطولوجية للبيئة، واستحضار الأبعاد الأخلاقية للسلوك المتطبع بقيم الثقافة الإسلامية، والكشف عن الجوانب التي أغفلتها الدراسات والمقاربات والمنظّمات الحقوقية في رحلتها للسلام والتصالح مع البيئة، فقد شخص النجار أزمة البيئة راهناً بقصور النموذج المعرفي الغربي القائم على أحادية الرؤية والمتمثّلة في طغيان التصوّر المادي في التعامل والعلاج. ومن ثمة يُعد خيار التربية البيئية على قيم روحية والتطبع بأخلاقيات الثقافة الإسلامية مسلك حضاري أخلاقي يتطلّع إلى تنشئة الفرد على منظومة القيم، التي تُسهم في الحفاظ على البيئة واستمراريتها، لأن الإخلال بمعايير الانتفاع من شأنه أن يهدد الحياة برمتها.

وأخيراً من **الناحية المنهجية**: يمكن استجلاء الرؤية النقدية التي تبناها النجار في تقويض منهج الحضارة الغربية في موقفها من البيئة، ومن ثمة التوجّه نحو مقاربة تأسيسية تقوم على رؤية شمولية في تشخيص المشكلة، في دلالة عالم الشهادة على عالم الغيب، بالإضافة إلى مبدأ الواقعية الذي ينطلق من الواقع، وفي المعالجة النوعية لجذور المشكلة البيئية وامتداتها وتداعياتها، والسعي نحو التأكيد على دور البعد الثقافي للبيئة، فحل المشكلة يكون بمد أواصر العلاقة بين الإنسان والبيئة نظراً وعملاً. مع تقنين آليات التعاطي مع البيئة بالانتفاع فلا إفراط ولا تفريط، فهو منهج وسطي معتدل.

وكتوصية ختامية نأمل أن تتّجه البرامج التعليمية لتنشئة الأجيال على أصول التعامل مع البيئة ومواردها التي سخرت لمهمة راقية. وأن صفة البشرية والآدمية مرحلة بدائية تتّجه نحو إشباع الجانب الحيواني الفطري في البشر، بينما الإنسانية رتبة سامية يرتقي إليها الناس بتذوق عالم الروح، وتبقى النفخة الروحية هي النقلة الحضارية التي على هديها تتزن الحياة وتفلح الإنسانية، بجعل الدين عماد المعرفة لأن طغيان العلم على حساب الدين تسير الإنسانية عرجاء فيختل التوازن وتتعثر، وعليه تزداد الحاجة الماسة والملحة إلى بلورة رؤية العالم الإسلامية التوحيدية لتجاوز مأزق تشتت العقل الإسلامي واستناده في مطارحاته إلى مرجعيات متعددة تعرقل وتؤخر الحلول، نلفت النظر إلى ضرورة الالتفاف حول تأصيل العلوم الإنسانية والاجتماعية وشدّ أزرها بمنظومة علوم الوحي.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

القرآن الكريم.

مؤلفات النجار:

1	النجار، عبد المجيد. **خلافة الإنسان بين الوحي والعقل: "بحث في جدلية النص والعقل والواقع"**،
2	النجار، عبد المجيد عمر. **فقه التحضر الإسلامي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط2، 2006م.
3	النجار، عبد المجيد عمر. **قضايا البيئة من منظور إسلامي**، الدوحة- قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط1، 1999م.

4	النجار، عبد المجيد عمر. **قيمة الإنسان: الإنسان في العقيدة الإسلامية**، الرباط–المملكة المغربية: دار الزيتونة للنشر، ط1، 1996م.
5	النجار، عبد المجيد. **البعد الثقافي في حفاظ الإسلام على البيئة**، ضمن كتاب: أعمال الملتقى الدولي: الحفاظ على البيئة في الإسلام وفي الدراسات العلمية المعاصرة مارس 2011م، ج1، الجزائر: منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، 2012م.
6	النجار، عبد المجيد. الإنسان والكون في العقيدة الإسلامية، **المسلم المعاصر**، العدد:77، أكتوبر 1995م.
ثانيا: المراجع:	
	المراجع باللغة العربية:
7	الطائي، إياد عاشور وعلي، محسن عبد. **التربية البيئية**، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، 2010م.
8	العزاوي، أكرم محمد صبحي. **التربية البيئية بين المنهج والتطبيق**، المملكة الأردنية الهاشمية: دار الجنان للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
	المراجع المترجمة إلى العربية:
9	نصر، حسين. **قلب الإسلام: قيم خالدة من أجل الإنسانية**، تعريب: داخل الحمداني، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2009م.
10	نصر، سيد حسين. **الإنسان والطبيعة**، ترجمة: عمر نور الدين (عمر الفاروق عمر)، جمهورية مصر العربية: آفاق للنشر والتوزيع، ط1، 2019م.
ثالثا: المعاجم والقواميس:	
12	ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين بن مكرم. **لسان العرب**، المجلد:1 (أ–ب)، بيروت–لبنان: دار صادر.
13	Larousse Dictionnaire de FRANÇAIS, france, 2010.
14	Oxford , Advanced Learner’s Dictionary ,university press , 8th edition.